



# التأثير السرياني على أسلوب القرآن\*

SYRIAC INFLUENCE ON THE STYLE OF THE KUR'ĀN

ألفونس مينغانا / ترجمة : مالك مسلمانى

www.muhammadanism.org

January 18, 2005

Syriac font: Serto Batnan

لا شك أن الوقت حان لإخضاع نصّ القرآن إلى نفس النقد الذي نعروض له الكتاب المقدّس اليهودي والعبري والآرامي، والكتب المسيحية اليونانية. وبمعزل عن بعض الملاحظات المقارنة المتناثرة من قبل علماء بارزين، فإنّ العمل النقديّ بصدّد القرآن، والمتصف بالشمولية ما يزال مؤلّف نلديكه، المطبوع سنة 1860. ومما يؤسف له أنّ الطبعة الجديدة لعمل نلديكه الكلاسيكيّ التي تولاهما شفالي وبرغشترسر، وإذ تحتوي على أكثر الإحالات المفيدة إلى عدد مذهل من الكتب العربيّة المطبوعة والمخطوطة؛ إلاّ إن المحرّرين لم يجدا مناسباً مضاعفة النقد والملاحظات المقارنة بصدّد النصّ المقدّس نفسه. كما يمكن أن تُجمّع معلومات مفيدة للغاية من دراسة كلاسيكيّة أخرى لنلديكه: *Neue Beiträge*.

إنّ دراسة حديثة بصدّد قصص القرآن التّاريخيّة كتبها مؤخراً ج. هورفيتس.<sup>1</sup> وإنّ القسم الذي يعالج أسماء الأعلام (ص 85 - 155) لهو ملئ بالمعرفة، بيد أنّي أعتقد أنّه اعتمد كثيراً جداً على الموروث الإسلاميّ وعلى ما يُسمى شعر قبل الإسلام أو شعر الجزيرة العربيّة؛ ووضع جانباً نقوش جنوب الجزيرة العربيّة وغيرها على أنّها لا تتصل بالموضوع. وأنا أعتقد بأنّ ليس ثمة من صفحة عربيّة واحدة يمكن أن نضع أيدينا عليها بمأمن ونقول إنها قبل إسلاميّة، وأنا اتفق مع مارغوليوث<sup>2</sup> بأنّ كلّ ديوان الشعر الجاهليّ غير جدير بالثقة، وضعيف، وأنّ القرآن هو أول كتاب عربيّ أصيل لدينا. ومن المناسب أن أعيد هنا ما كتبتّه بصدّد هذه المسألة سنة 1920.<sup>3</sup>

(( نحن غير قادرين بعد على معرفة كيف تشكّل الشعر العربيّ قبل القرن السابع. إنّ النظم الشعريّة الوفيرة، المعروفة على أنّها (( شعر قبل إسلامي )) ، والتي عُرضت بشكل رئيس في المفضليات، والمعلقات، والحماسة، والجُمهرة مغلّفة بسديم كثيف من ما قبل التّاريخ والزيف، وحسب حالة معارفنا فإنّنا نستطيع أن نؤكد بأنّ إلى إنبلاج ضوء أكثر غنى فإنّها بالكاد تصمد في حقل الدراسة الوضعيّة . ((

\* Bulletin of The John Rylands Library, Manchester: University Press, Longsmans, Green, & Co., London, England, Vol. 11, No. 1, 1927, p. 77-98.

<sup>1</sup> *Koranische Untersuchungen*, 1926.

<sup>2</sup> *The Origins of Arabic Poetry in J.R.A.S.*, 1925. 415 - 449.

<sup>3</sup> *Odes and Psalms of Solomon*, ii. 125.

وكما نعتقد، فإنَّ القرآنَ هو الكتابُ العربيُّ الأول،<sup>1</sup> إذ تأتي على مؤلّفه أن يكافح صعوبات جمة. فكان عليه أن يكيّف كلماتٍ وعباراتٍ جديدة لأفكار ناشئة، وبلغه لم تكن قد تثبتت بعد بأيّ قواعد أو خضعت لقوَمسة. إنَّ خطرَ أن لا يكون مفهوماً أعاقه على الأغلب عن نحت كلمات مستحدثة كثيرة. وكانت السياسة الأمتل أن يستعمل فكره الإسلاميّ الجديد الكَلِمات المفهومة من قِبَل السّامعين والمتداولة في لغة قريبة إليه والتي صارت لغةً كنسيّةً ودينيّةً منذ قرون قبل مولده والتي يحيط أتباعها به في جميع الاتجاهات في جماعات عالية التنظيم: الأسقفيات والأديرة. ولهذا فإنَّ أسلوبَ القرآن لا يشبه أيّاً من الكتب العربيّة الكلاسيكيّة.

ونظراً لذلك فإنَّ مؤلّف القرآن لديه أهليّة أكثر وأصالة، وكانت صعوباته اللغويّة أكبر حجماً من تلك التي تعرّض لها على سبيل المثال بولس والإنجيليون المسيحيون الأوائل، الذين كان عليهم أن يعبروا عن الأفكار الجديدة بلغة هومر. كان وراء لغة هومر أدب رفيع، بينما لم يكن للقرآن ذلك الحظ. وكما أن الكتاب المسيحيين الأوائل تركوا في مصنفاتهم الخاصيات الأسلوبية والتي تشير بكلّ وضوح إلى مسقط رءوسهم، والذي لم يكن أثينا القديمة بل فلسطين السورّيّة الهلينيّة، فإنَّ مؤلّف القرآن بيدي الخصوصيات الأسلوبية التي تميّز عمله بحيث يكون مختلفاً نسبياً عن العربيّة الكلاسيكية المعروفة لدينا من القرن الثامن وما قبله. إنَّ أسلوبه يعاني من القصور الذي يميّز أول محاولة في لغة أدبيّة جديدة وتقع تحت تأثير لغة قديمة وذات أدب أكثر رسوخاً. وهذه اللّغة الأقدم والأدب الأكثر تنصيذاً، - حسب محاكمتنا - هي بدون أدنى ريب السريانيّة أكثر من أيّ لغةٍ أخرى.

يتوجب علينا أن نذكر في هذا المقام أنّ من بين العلماء الذين تعاطوا مع مسألة الكَلِمات الأجنبيّة في القرآن كلّ من فارينكل،<sup>2</sup> ودفوراك.<sup>3</sup> وإذا لم أشرّ غالباً إلى أكثر من هذين الباحثين فإنّ ذلك يعود ببساطة إلى نفوري من مضاعفة الهوامش بدون ضرورة ماسّة؛ بيد أنه يتوجب عليّ أن أعلن بأنّي لا اعتبر دائماً أنّ كلّ استنتاجاتهم يتعذر دحضها؛ وهذا ينطبق أكثر تحديداً على العمل الثاني. وبالوسع جمع بعض المعطيات المفيدة هنا وهناك من عمل أ. سيديكي المنشور 1919.<sup>4</sup>

بقدر ما إنّ عددَ المؤلّفين المسلمين المهتمين، الذين تناولوا المفردات القرآنيّة ذات الأصل الأجنبيّ هو عدد لافت للنظر حقاً، وليس من ضرورة لذكرهم بالاسم هنا. وبين أولئك الذين سعوا إلى جمع هذه الكَلِمات في طريقة أكثر أو أقل منهجيّة فإننا سنشير إلى قطع الشعرية لتاج الدين بن سبكي وأبي الفضل بن حجار. وكلاهما، على أي حال غابا لدى بزوغ نجم جلال الدين السيوطي - أفضل ناقد قرآنيّ في الإسلام - والذي كرّس للموضوع فصلاً خاصاً في كتابه المعروف الإِتقان،<sup>5</sup> وكتب عنه معالجة قصيرة ومحكمة بعنوان المتوكلي.<sup>6</sup> وعلينا أن نلاحظ أنّ المعرفة القاصرة باللغات الساميّة إلى جانب العربيّة غالباً ما تجعل استنتاجات العلماء المسلمين

<sup>1</sup> إنّ القرآن نفسه يشهد على ذلك بالتأكيد في (سورة الأحقاف: 46/12)؛ (سورة القلم: 68/37)؛ (سورة الطور: 52/41)؛ (سورة الجمعة: 62/2)؛ (سورة سبأ: 34/44)؛ (سورة فاطر: 35/31)؛ (سورة الصافات: 37/157).

<sup>2</sup> وكتابه المنشورة سنة 1880: *De Vocabulis in ant. Arab. carm. et in Corano peregrinis*.  
<sup>3</sup> *Ueber die Fremdwörter im Koran*, in the publications of the Vienna Academy, Bd. 109 1885.

<sup>4</sup> المعنون: *Studien über die Persischen Fremdwörter im Klass. Arabisch.*

<sup>5</sup> الصفحات 314 - 327 من طبعة كلكتوا، سنة 1856.

<sup>6</sup> أصدرها بل في سنة 1924 في (Nile Mission Press).

غير جديرة بالاعتماد ومضللة. وعلى الناقد أن يمارس حرصاً كبيراً في التعاطي مع كتبهم، وهي بأفضل الحالات ممهّدات تاريخية للموضوع قيد البحث.

إنّي لمقتنع بأنّ معالجة شاملة لنصّ القرآن بعيداً عن الشّراح المسلمين سيغل حصاداً وثيراً من المعلومات الجديدة. وإنّ الكفايات الضّروريّة التي يتوجب على الباحث أن يتسلّح بها هي معرفة جيدة بالسّريانيّة، والعبريّة، والحبشيّة. ومن وجهة نظري فإنّ السّريانيّة هي أكثر فائدة من العبريّة والحبشيّة؛ إذ يبدو أنّ للغة الأولى تأثيراً واضحاً على نصّ القرآن. والتأثير النصّي العبريّ الذي تمكنت من اكتشافه يعتمد على الكتاب المقدّس العبريّ، كان موجوداً في البشيتا السّريانيّة.<sup>1</sup> ونحن عرضة للمغالاة في دراستنا القرآنيّة للعناصر الأسطوريّة الكتابيّة المُقتبسة عن المعتقدات الشعبيّة اليهوديّة، وإهمال حقيقة أنّ هذه القصص قد وُجدت في كتب منحولة كثيرة كانت قيد التداول بين أتباع الكنائس السّوريّة لجنوب سوريا والجزيرة العرّبيّة. وبهذا الصدد إذ أخذنا العدد ( 100 ) كوحدة للتأثيرات الأجنبيّة على أسلوب ومُصطلحات القرآن فإننا نستطيع أن نورد بثقة لحدّ ما النسب التّالية: الحبشيّة تمثّل 5 بالمئة من الكلّ، العبريّة 10 بالمئة، واللّغتين اليونانيّة - اللّاتينيّة 10 بالمئة، والفارسيّة حوالي 5 بالمئة، والسّريانيّة ( بما فيها الآراميّة والسّريانيّة الفلّسطينيّة ) حوالي 70 بالمئة.

إننا نقترح أن نناقش في الصّفحات التّالية بشكلٍ مكثّف قائمة أولى تحمل بعض جوانب التأثير السّريانيّ على الخصائص اللّغويّة للقرآن. ويجب أن تكون القائمة مفحوصة بعناية، ذلك إنّ بُرهننا نفاطها فإنها سوف تعدّل نطاقاً واسعاً من استنتاجاتنا القرآنيّة والتي أُستقيت بشكل رئيس من الكتاب المسلمين، والذين تألّق أفضلهم بعد ما يقارب من منّي سنة عن القرآن.

إنّ التأثير السّريانيّ على أسلوب القرآن يمكن أن يُدرس تحت ستة عناوين متميزة:

- ( أ ) أسماء الأعلام؛
- ( ب ) المُصطلحات الدّينيّة؛
- ( ج ) الكلمات العامّة؛
- ( د ) الإملاء؛
- ( هـ ) بناء الجمل؛
- ( و ) الإحالات التاريخيّة الأجنبيّة.

من أجل الإيجاز وحفاظاً على مساحتنا المحدّدة، فإننا لن نضيف ملاحظات نقدية للكلمات التي تبدو لنا أنها بيّنة بنفسها وحتّى بالنسبة للعين غير الخبيرة.<sup>2</sup> ونحن نقترح أن نعطي نتائج منطقيّة استنتجت من الصّفحات الحالية لدى الانتهاء من قائمة ثانية للكلمات التي سوف ننشرها في وقت قريب.

وبما أنّ اشتقاق الكلمات العامّة موضوع الاهتمام هو بالطبع لأمر صعب أن يقرّر دائماً بموثوقية مقبولة ما إن كانت كلمة عربيّة معطاة واردة في القرآن مشتقة مباشرة من اللّغات السّريانيّة، أو العبريّة، أو الحبشيّة أو أنّها ليست مشتقة منها على الإطلاق. هنالك آلاف الكلمات المعجميّة المحددة المتطابقة في جميع اللّغات السّاميّة، وليس ثمة من عالم مسؤول سيؤكد بأنّ أياً

<sup>1</sup> البشيتا ( Peshitta ) : النسخة السّريانيّة القديمة الرئيسيّة للكتاب المقدّس. - المترجم.  
<sup>2</sup> على أيّ حال، بوسعنا التأكيد للقارئ الكريم بأنّ الكلمات التي أُدرجت على أنّها مشتقة من السّريانيّة، والعبريّة، والحبشيّة، والإغريقيّة، واللاتينيّة أو الفارسيّة قد قُبلت بعد تفكيرٍ ودرسٍ عميقين.

منها مشتق من هذه اللُّغة السَّامِيَّة أو تلك. وهذا ينطبق بالأخصّ على الألفاظ الأُولِيَّة مثل «رأس» ، «يد» ، الخ، الخ. وهذه الكَلِمَات تعود إلى الجذر السَّامِيّ المشترك الموجود في جميع اللُّغات السَّامِيَّة. وبالنسبة للكلمات التي ليست أوليّة أو عامة لكل اللُّغات السَّامِيَّة بيد أنّها موجودة في بعضها فحسب، ومستثناة في أخرى، فإنّي وجدت الاعتبارات التَّالية جديرة بلفت الانتباه.

(1) بخصوص جميع الكَلِمَات، بغضّ النَّظر إن كانت معيَّنة أو مجردة، فإننا يجب أن نأخذ بعين الاعتبار بالمقام الأول الأصالة القواعدية والمعجمية لهذه اللُّغة السَّامِيَّة أو تلك وكيف تتوافق الكَلِمَات القُرْآنيَّة معها؛ وثانياً، الصَّيغة الأقرب التي تقدمها الكَلِمَات القُرْآنيَّة لدى مقارنتها مع الكَلِمَات المقابلة الموجودة في هذه اللُّغة السَّامِيَّة أو تلك.

(2) فيما يتصل بالكَلِمَات المعينة، يجب أن نراعي تاريخ، وجغرافيا وطبوغرافيا الأرض، أو هذا الشعب السَّامِيّ أو ذلك، ونفحص إلى أيّ مدى تتوافق هذه الكَلِمَات القُرْآنيَّة بانسجام معها.

(3) فيما يتعلّق بالكَلِمَات المجردة فإننا يجب أن نأخذ بعين الاعتبار أيّ الأمم السَّامِيَّة حازت على حضارة أدبية أولاً، وأيّ منها بقوة الظروف أو بقربها من الحجاز كانت هي على الأرجح، التي مارست تأثيراً مباشراً على لغتِه في هذا الفرع الأدبيّ أو ذلك.

من أجل نظرة عامة على العلاقات المتبادلة التي تربط اللُّغات السَّامِيَّة بعضها ببعض فإنّ الأعمال التَّالية لا تحتاج إلى توصية خاصّة من جانبي:

- Wright's *Comprehensive Gram. of the Sem. Lang.*;
- Brockelmann's *Grundriss*;
- Zimmern's *Verg. Gram. d. Sem. Sprachen*;

إضافة لأعمال نلديك المعروفة بصدد الموضوع.

## I

### أَسْمَاءُ الْأَعْلَامِ

إنّ أَسْمَاءَ أَعْلَامِ الشَّخْصِيَّاتِ الْكِتَابِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ وَارِدَةٌ فِي صِيغَتِهَا السَّرِّيَانِيَّةِ. وَمِثْلُ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ تَتَضَمَّنُ سُلَيْمَانَ، فِرْعَوْنَ، إِسْحَاقَ، إِسْمَاعِيلَ، إِسْرَائِيلَ، يَعْقُوبَ، نُوحَ، زَكَرِيَّا، وَمَرْيَمَ. وَالْأَسْمَاءُ الْكِتَابِيَّةُ الْآخَرَى الْمُسْتَعْمَلَةُ فِي الْكُتُبِ الْيَهُودِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ لَهَا نَفْسُ الْفِظِ فِي السَّرِّيَانِيَّةِ وَالْعِبْرِيَّةِ. وَالْأَسْمَاءُ التَّالِيَّةُ تَحْتَاجُ إِلَى بَعْضِ الشَّرْحِ.

سُلَيْمَانَ وَفِرْعَوْنَ: إِنَّ الْأَسْمِينَ الْعِبْرِيِّينَ שְׁלֵמָה וּפְרָעוֹן يَنْتَهِيَانِ بِحَرْفِ الْهَاءِ. وَبِالنَّسْبَةِ لِسُلَيْمَانَ بِالْحَرْفَيْنِ الصَّوْتِيَيْنِ ʃ؛ وَعَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ كِتَابَةَ الْقُرْآنِ سُلَيْمَانَ وَفِرْعَوْنَ (حَرْفِ نُونٍ فِي نَهَايَةِ الْأَسْمِ) يُمْكِنُ أَنْ تَأْتِيَ مِنَ الصِّيغِ السَّرِّيَانِيَّةِ لِهَذَيْنِ الْأَسْمِينَ فَحَسَبَ: مَحْمَعٌ، وَفَنَحَهُ (الصِّيغَةُ الْحَبَشِيَّةُ لِلْأَسْمِ الْأَخِيرِ فِيهَا الْحَرْفُ الصَّوْتِيُّ i بَعْدَ pe). وَالْأَلْفُ الْقَبْلُ الْأَخِيرُ فِي الْفِظِ الْمَعَاوِرِ سُلَيْمَانَ إِضَافَةً مُتَأَخِّرَةً مِنَ النَّسَاجِ. وَعَلَيْنَا أَنْ نَلَاظِحَ هُنَا أَنَّ الْمَقْطَعِ قَبْلَ الْأَخِيرِ

(الواو) في الاسم السرياني غائب في كتبٍ قديمة عديدة، وفي المخطوطات المكتوبة قبل عهد مُحمَّد فإنَّ الاسم يظهر على النحو التالي: **محصم** . انظر المخطوطة السريانية في المتحف البريطاني ( Add., 14, 602 ff., 82a and 84b ).<sup>1</sup> والمخطوطة نفسها تعود للقرن السادس أو على الأكثر إلى بداية القرن السابع المسيحي.

**إسحاق**: هنا في العربية إسحق تنحدر بدون شك من الصيغة السريانية **إسح** وليست من العبرية: **יצחק** أو **ישחק** ( بحرف يود ).<sup>2</sup>

**إسمعيل وإسرائيل**: إنَّ نفس الملاحظة تنطبق على **إسمعيل** و**إسرائيل** ( بهمزة أو بدونها ). وهما تماماً سريانيَّتان **محصم** و **هه** أو **هه** و **هه** وليستا عبريتين **יִשְׂרָאֵל** و **יִسְמַעֵל** . ومن أجل مصادر إلى بعض النقوش التي تحمل اسم **إسمعيل**، انظر كتاب هورفيتس،<sup>3</sup> وهارتمان.<sup>4</sup>

**يعقوب**: إن صيغة اسم **يعقوب** بيقين كبير سريانية أكثر منها عبرية: **يَعْقُوب = مَحْمَص** بيد أنها في العربية **يَعْقُوب** بحركة پتاج لحرف ياء وبدون حرف لين طويل. وقد ورد الاسم خمس مرات فحسب في النص المسوري العبري بحرف لين طويل وحرف ياء ساكن مثل العربية والسريانية، وهو على أعم الأرجح يمثل اللفظ الأكثر حداثة للاسم.

**نوح**: إنَّ العربية **נֹחַ** هي بعيدة بعض الشيء؛ ونُوح العربية هي بالضبط السريانية والحبشية **נח** .

**زكريا**: إن اسم **زكريا** بالعربية سرياني أيضاً **زكرا** بألف وليس من الصيغة العبرية بحرف الهاء أو الحبشية **Zakarias** ( المأخوذة عن الإغريقية ).

**مريم**: لاحظ الاختلاف في الصوت اللين الأول للكلمة، فالعربية والسريانية (( **مر** )) بيد أن النص المسوري (( **مير** )) . وعلى أي حال، يتوجب ملاحظة أنه حسب المسوره على ترجموم أونكلوس ( 84 ب )<sup>5</sup> على الخروج ( 15 : 20 ) . فإنَّ مريم بدورها كانت لفظاً ترجمومياً . وفي الحبشية فإنَّ كلا المقطعين طويلين **Maryam** .

ليس ثمَّة في القرآن اسمٌ كتابي بلفظ عبري حصراً . وبما أنَّ أسماء **إسمعيل**، **إسرائيل**، **إسحق** هي موضوع الاهتمام فإنه بوسعنا أن ننتبين انحرافهم عن اللفظ العبري وهو تماماً الأكثر ملاحظة لأنَّ مؤلِّفه ( أو محرر القرآن ) لا يلتزم بقواعد اللغتين العربية والعبرية بل يتبع السريانية . ومن المعروف جيداً بأنَّ حرف الشَّخص الثالث المفرد للمضارع في العربية والعبرية حرف **يود** الذي يسبق في العبرية قبل اسم العلم؛ وسيكون طبيعياً أكثر أن تكون في صيغتهم العربية على سبيل المثال **ياسمعيل** و**ياسحق** بحرف ( يا ) لا **إسمعيل** و **إسحاق** بألف، - وهي

<sup>1</sup> Pp. 709 and 714 in Wright's catalogue. On the gods *Shalman and Solomon* see Clay, *The Empire of Amorites*, pp. 91, 156, and Meyer, *Die Israeliten*, p. 295.

<sup>2</sup> انظر: Fraenkel, Z.A., xv., 394.

<sup>3</sup> *Koranische*, p.92

<sup>4</sup> *Arabische Frage*, pp. 182, 252 sqq.

<sup>5</sup> Edit. Berliner, 1875.

الصيغ المستخدمة من قِبَل السَّرِيان لأجل الحفاظ أكثر ما يمكن على اللَّفْظِ الأَصْلِيِّ للعبريين، لأن الحرف الشخص الثالث المفرد في لغتهم هو نون وليس يود كما في العَرَبِيَّةِ وَالْعِبْرِيَّةِ.

وثمة حقيقة لافتة للنظر من كل الكَلِمَاتِ أعلاه ألا وهي ألفاظها. إنِّي في الوقت الحاضر منهمك في دراسة التَّارِيخِ المبكَّرِ للمسيحية في الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ كتنتمه لدراستي « الانتشار المبكَّر للمسيحية في آسيا الوسطى » ، و « الانتشار المبكَّر للمسيحية في الهند » ، المنشورين سنة 1925 وسنة 1926 على التوالي. ومن هذه الدراسة يتبين بأن غالبية المسيحيين الذين يحيطون حول الحجاز وجنوب سوريا ينتمون إلى الجماعة البَعثُويَّةِ وليس للنسطورية. وقد كان ذلك هو الحال حتى في منتصف القرن التاسع المسيحي حينما تمكن المنافح الحسن الإطلاح مُحِب الدين الطُّبري، الذي كان بوسعه أن يكتب: « إن ( المسيحيين ) موجودون بين العرب ما خلا أقلية من اليعاقبة والمالكيين »<sup>1</sup>.

إنَّ اللَّفْظِ العَرَبِيَّ لِأَسْمَاءِ الأَعْلَامِ الوارِدةِ أعلاه يعود للنسطوريين وليس لليعاقبة. فالآخرون يقولون إسمعويل، إسرويل وإسحوق، وليس إسمعيل، إسرانيل، وإسحق، كما ترد في القرآن.

وعلى ما يبدو فإنَّ العالم الرُّومانيّ - الإغريقيّ يتمثّل باسم فحسب، إذ يظهر النَّبِيُّ يونان باسم يونس، والنَّبِيُّ إيليا، باسم إلياس، ومرة واحدة يَاسين ( هكذا ) من أجل الفاصلة<sup>2</sup> ( سُورَةُ الصَّافَاتِ: 130 / 37 ). وإنه لشديد الاحتمال، على أيِّ حال، إنَّ هذين الاسمين نُشرا من جانب المسيحيين السُّوريين وقد أخذوا عنهم مباشرة؛ وبالفعل فإنَّ رجالاً كثيراً من اليعاقبة والنساطرة، المالكيين والمارونيين السُّوريين كانوا يحملون بدءاً من القرن الثالث المسيحيّ أسماءً إما إغريقيَّةً بالكامل أو تُلفظ بلاحقة إغريقيَّة فحسب. إنَّ هؤلاء الرُّجال الأدياء يبلغون الآلاف. وكمثال توضيحي على نهاية ( سين ) فإنَّه بوسعنا هنا تبيان أنَّ سوريين كثيرين كان يطلق عليهم يوحنيس، وماتيوس، وتوماس بدلاً من يوحنا، متى، توما وهكذا.

إنَّ النَّظْرَةَ التي عرضناها هنا هي الملائمة المعززة بحقيقة إنَّ صيغة الاسمين إلياس<sup>3</sup> ويونس<sup>4</sup> في السُّريانيَّة الفلَسْطِينِيَّة هما كما في القرآن. وفي الحَبَشِيَّة فإنَّ كلى الاسمين يظهران كذلك مثل إلياس ويونس، لكنَّ في اللَّفْظِ السُّريانيّ ذا النُّون ( صاحب السمكة )، الذي يسمِّي القرآن به يونان ( سُورَةُ الأنبياءِ : 21 / 87 )، وهو على الأرجح يستلزم ضمناً أنه حصل على اسمه من السُّوريين.

من تطبيق المنهج السُّريانيّ لِأَسْمَاءِ الأَعْلَامِ فإنَّه سيكون بوسعنا أن نسلط ضوءاً على بعض صيغ أسماء مُستعملة في القرآن. فبالنسبة ليوحنا، فإنَّه لدينا في القرآن الصِّيغَةُ الغريبيَّة يحيى. وأنا اعتقد مع مرغوليوث<sup>5</sup> بأنَّ الاسم هو من غير ريب تقريباً سريانيّ يوحنا. ففي القرآن المبكَّر وغير منقوطة فإنَّ الكلمة تظهر بحبي والتي يمكن أن تُقرأ يوحنا، يوحنا، أو يحيى؛ والقراء المسلمون الذين لا يعرفون لغةً أخرى إلى جانب العَرَبِيَّةِ تبنوا الصيغة الخاطئة

<sup>1</sup> كتاب الدين والدولة، ص 157 من ترجمتنا.

<sup>2</sup> الفاصلة: كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السَّجْع. - المترجم.

<sup>3</sup> *Palestinian Syriac Lectionary*, p. 289 (edit. Mrs. Lewis and Mrs. Gibson).

<sup>4</sup> *Ibid*, p.24.

<sup>5</sup> *Moslem World*, 1925, p.343.

ليحيى. واني لغير قادر على الإطلاق على الموافقة مع ليدزبارسكي<sup>1</sup> بأن هذا الاسم الغريب هو اسم عربي قديم.

وبنفس القدر بالنسبة لاسم عيسى ( الاسم المعطى في القرآن ليسوع ) الذي يقع في مدار اهتمامنا، ويبدو أنه كان قيد التداول قبل مُحَمَّدٍ، ولا يبدو محتملاً أنه قد صُيغ من قِبَلِهِ. إنَّ ديراً في جنوب سوريا، قرب مناطق الغَسَانِيِّين المسيحيين العرب، كان يحمل في سنة ( 571 م ) اسم عيسانية، والتي تعني « التي تخص أتباع يسوع » ، أي خاصة بأهل المسيحية. انظر: ( اسم عيسانية، والتي تعني « التي تخص أتباع يسوع » ) والتي تعود لنهاية القرن السادس أو في أبعاد تقدير إلى بداية القرن السابع.<sup>2</sup> وليس للفظ المندائي إيسو،<sup>3</sup> جدوى ذلك أن الحرف الحلقي ( ع ) له في المندائية لفظ همزة. إنَّ اللفظ المندائي هو بالأحرى تذكره لعيسو، ذلك إنَّ اسم يسوع كان مكتوباً في الإنجيل المركوني المتداول من قبل السُورِيِّين.<sup>4</sup>

## II

### المُصْطَلَحَات الدِّينِيَّة

إنَّ أغلب المُصْطَلَحَات الدِّينِيَّة الموجودة في القرآن مشتقة من السَّرْيَانِيَّة، وفي هذه الفئة سندرج مُصْطَلَحَات مثل:

|  |    |        |                    |
|--|----|--------|--------------------|
| سُورَةُ الطُّورِ: 29 / 52؛ سُورَةُ الحَاقَّةِ: 42 / 69.          | من | صهلا   | كاهن               |
| سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: 45 / 3. وأماكن أخرى                       | من | معصلا  | مسيح               |
| سُورَةُ المَائِدَةِ: 82 / 5.                                     | من | معصلا  | قسيس <sup>5</sup>  |
| ( بمعنى الحساب الأخير ) سُورَةُ الفَاحِشَةِ: 4 / 1، الخ.         | من | وهلا   | دين                |
| سُورَةُ عَبَسَ: 15 / 80.   | من | هعلا   | سفرة               |
| ( معنى إنجيلي، يستخدم كثيراً )                                   | من | محللا  | مثل <sup>6</sup>   |
| سُورَةُ البَقَرَةِ: 53 / 2. ومواضع أخرى                          | من | هوهلا  | فرقان <sup>7</sup> |
| سُورَةُ التِّبَرَةِ: 256 / 2. ومواضع أخرى                        | من | هههلا  | طاغوت              |
| سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: 79 / 3؛ سُورَةُ المَائِدَةِ: 44 / 5 و 63. | من | وهلا   | رباني <sup>8</sup> |
| سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: 183 / 3.                                  | من | هوهلا  | قربان              |
| واردة بكثرة  | من | معصلا  | قيامة              |
| سُورَةُ الأَنْعَامِ: 75 / 6.                                     | من | محمهلا | ملكوت              |

<sup>1</sup> *Johannesbuch* ii., 73: cf. also Nöldeke in *Z.A.*, xxx, 158 sq.

<sup>2</sup> P.714 in Wright's Catalogue.

<sup>3</sup> Nöldeke's *Mand. Gram.*, xxix and 55; Lidzbarski. *Mand. Liturgien*, 191.

<sup>4</sup> Mitchell's *St. Ephraim's Prose Refutation of Mani, Marcion, and Bardaisan*, vols. i-ii., 1912-21 (as in index), and see my study on same in *J.R.A.S.*, 1922, p. 530.

<sup>5</sup> من الجدير بذكره هنا أن الكلمة السَّرْيَانِيَّة قَشْيَش أُستعملت كاسم علم من قِبَل الغَسَانِيِّين العرب لجنوب سوريا. انظر ( Mar Kashshih, the Arab, " in *Brit. Mus. Syr. MS. Add.*, 14, 458, p.48, in *Wright's Catalogue* ) . إن المخطوطة كانت محررة قبل موت مُحَمَّدٍ.

<sup>6</sup> طُرحت الكثير من التَّخمينات العقيمة بصدد هذه الكلمة من جانب المفسرين المسلمين الذين لا يعرفون لغة سامية أخرى غير العَرَبِيَّة.

<sup>7</sup> نفس الملاحظة.

<sup>8</sup> نفس الملاحظة.

|                 |    |           |  |
|-----------------|----|-----------|--|
| جَنَّة          | من | حجلا      | ورادة بكثرة  |
| ملاك            | من | مطاطا     | ورادة بكثرة. في صيغة المفرد والجمع                                       |
| رُوحُ الْقُدُسِ | من | وهه مهوعا | سُورَةُ النَّحْلِ: 102 / 16.   |
| نفس             | من | بعلا      | ورادة بكثرة.   |
| وَقَرَ          | من | مهم       | سُورَةُ الْفُتُوحِ: 9 / 48.  |
| آية             | من | لا        | ورادة بكثرة  |
| الله            | من | لاها      | اللفظ النسطوري القديم. كلمة قبل إسلامية للإله يلوح أنها ممثلة بصيغة إله. |
| صلى             | من | رح        | ومشتقها صلوة رحما  |
| صام             | من | م         | ومشتقها صوم مهما   |
| خطي             | من | سها       | ومشتقها خطية سهما  |
| كفر             | من | صفا       |  |
| ذُبِحَ          | من | وجسا      | سُورَةُ الصَّافَّاتِ: 107 / 37.  |
| تَجَلَّى        | من | لحك       | سُورَةُ الْأَعْرَافِ: 143 / 7.   |
| سَبَّحَ         | من | حس        | وكل مشتقاتها   |
| قَدَّسَ         | من | مهم       | سُورَةُ الْبَقَرَةِ: 30 / 2.   |
| حُوبٌ           | من | سها       | سُورَةُ النَّسَاءِ: 2 / 4.   |
| طُوبَى          | من | هها       | سُورَةُ الرَّعْدِ: 29 / 13.  |

إنَّ ارتباطَ القرآنِ بالمُصطلحاتِ السريانيةِ الدنيويةِ جليٌّ أيضاً في التعبيراتِ اللاهوتيةِ، مثل نورِ على نورٍ (= نور من نور)، من سُورَةِ النُّورِ ( 35 / 24 ) ( حيث نور من نهوا )، ومن كل الشواهد والأفكار الموحاة شبه الكتابية، مثل قصة الجمل وسم الإبرة ( سُورَةُ الْأَعْرَافِ: 40 / 7 )، حيث جمل مثل حملا ( متى: 24 / 19 )؛ وفكرة الإله الذي يमित ويحيي ( سُورَةُ النَّجْمِ: 44 / 53 )، حيث أمات وأحيا، مثل مهما و هس: في ( 1 صموئيل: 6 / 2 )، وحيث العبرية في الصيغة الثانية.

وهذا ما ينطبق على الحوادث الكتابية، مثل طوفان ( سُورَةُ الْأَعْرَافِ: 133 / 7؛ سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ: 14 / 29 )، من ههوا ، وصلب من رحح ، وهي تشير إلى المسيح ( سُورَةُ النَّسَاءِ: 157 / 4 ). وبالمثل سوف نجد من مهلا<sup>1</sup> ( سُورَةُ الْبَقَرَةِ: 57 / 2؛ سُورَةُ الْأَعْرَافِ: 160 / 7؛ طه: 80 / 20 ). وسلوى ( نفس الآيات ) من ههه ، وأسباط من ههلا . وفئة أخرى من الألفاظ السريانية نجدها في كلمات سريانية تُرجمت حرفياً؛ مثل ما سوف نجد الاستعمال المتكرر لـ رسول، من ههسلا ، وكلمة، من ههلا ( سُورَةُ النَّسَاءِ: 171 / 4، ومواضع أخرى).

وإنني لعلى ثقة بأن قليلاً من قائمة الكلمات أعلاه، يمكن رفض الأصل السرياني له. إن القائمة يمكن أن تزداد بعدد لا حصر له من كلمات أخرى، بيد أن الألفاظ أعلاه كافية من أجل هدف القائمة الأولى هذه. وإن المُصطلحين الدنيينِ القرآنيين اللذين يظهران التأثير العبري

<sup>1</sup> يمكن أن تكون قد أخذت من العبرية لأنها تُذكر مع السلوى، انظر (Fraenkel, De Vocabulis, p.24). إنني لتمام الاتفاق مع هذا الباحث بصدد بعض الكلمات في هذا الفصل.



هما المُصْطَلَحان التَّقْنِيان: التَّوراة، والتَّابُوت<sup>1</sup> ( سُورَةُ الْبَقَرَةِ: 2 / 248؛ : سُورَةُ طه 20 / 39 ). وهذا ينطبق بدرجة ما على الأَرَامِيَّة، וְהַיְהוּדִים جَهَنم. والتي تغيب عنها الميم في السَّرْيَانِيَّة الكَلَّاسِيكِيَّة. إنَّ كلمة مَثَانِي، في سُورَةِ الْحَجْرِ ( 15 / 87 )، وسُورَةُ الزُّمَرِ ( 23 / 39 ) غامضة، وإنَّ علاقتها مع الكلمة التقنيَّة مشنا لهو أمرٌ ممكنٌ تماماً بيدَّ أنه ليس مؤكداً. ومن الجانب الآخر، فإنَّ مفردة حبر، (( طبيب )) ، في السَّرْيَانِيَّة والعِبْرِيَّة، وتغير بسيط في المعنى.

بالحقيقة إنَّ التَّأْيِيرَ الْيَهُودِيَّ عَلَى مَعْجَمِ الْقُرْآنِ الدِّيْنِيَّ أَمْرٌ قَلِيلٌ الْأَهْمِيَّة.

على الرَّغْم من العلاقة الوطيدة والعميقة بين الحجاز والحبشة، والعلاقات التي توثقت ( إذا ما كان علينا أن نصدِّق المؤرِّخين المسلمين بشأن هذا الموضوع ) نتيجة لواقعة أنَّ المسلمين الأوائل لجأوا إلى النَّجَاشِي، ملك الحبشة، إلاَّ إنَّ المفردة الدِّيْنِيَّة الْحَبَشِيَّة الوحيدة التي أثرت في أسلُوبِ الْقُرْآنِ كانت كلمة حواريين. ومن الممكن أن تكون كلمة صُحُف، قد أُوحي بها نتيجة لتطابق مع مفردة حبشيَّة.

وهنا علينا أن نلاحظ، كما فعلنا في حالة أسماء الأعلام في الْقُرْآنِ، بأنَّ لفظ المفردات السَّرْيَانِيَّة أعلاه هو السائد بين النسطوريين وليس بين اليعاقبة. إذ يلفظون الثانون فرقون، وليس فرقان، قربون، وليس قربان، قَشِيش وليس قَشِيش ( بالشدة )، الخ.

### III

#### الكَلِمَاتُ الْعَامَّةُ

ثُمَّ كَلِمَاتُ فِي الْقُرْآنِ لَيْسَتْ شَائِعَةً فِي الْعَرَبِيَّةِ، بِيَدِ أَنَّهَا شَائِعَةٌ فِي السَّرْيَانِيَّةِ. وَعَلَى ذَلِكَ سَوْفَ نَحْصِي:

|  |    |    |            |
|--|----|----|------------|
| كلمة سرْيَانِيَّة تقنيَّة تعني الدَّرْس الكِتَابِي، أو القراءة. <sup>2</sup> | من | من | قرآن       |
| سُورَةُ الْأَنْعَامِ: 6/96؛ سُورَةُ الْكَهْفِ: 18/40؛ سُورَةُ الرَّحْمَنِ:   | من | من | حُسْبَان   |
| 5/55.  |    |    |            |
| سُورَةُ الْمَائِدَةِ: 5/48؛ سُورَةُ الْحَشْرِ: 59/23.                        | من | من | مُهَيِّمِن |
| سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ: 21/87.   | من | من | نُون       |
| سُورَةُ طه: 20/80.   | من | من | طُور       |
| سُورَةُ الْفُرْقَانِ: 25/39. ومواضع أخرى                                     | من | من | تَبْرُز    |
| سُورَةُ الْكُؤُثْرِ: 108/3؛ قارن كذلك: سُورَةُ الْمَائِدَةِ: 5/2، 8.         | من | من | شَانِي     |
| بمعنى الخَلِيقَةُ ( سُورَةُ النَّبِيَّةِ: 98/6 - 7 ).                        | من | من | بَرِيَّة   |

<sup>1</sup> إنَّ أصلَ كلمة سورة غير معروف، وبرأينا فإنَّ اشتقاقها الحقيقي ما زال غامضاً. [ التوراة بالعبريَّة: תּוֹרָה ؛ والتَّابُوتُ بِالْعِبْرِيَّةِ: תַּבּוּת . المترجم. ] .

<sup>2</sup> ليس ثمة شك في ذهني بأنَّ كلمة قرآن تبدو مثل الكلمة السَّرْيَانِيَّة قريان. إذ سمَّى السَّرْيَانُ جميعَ الفصول من الكِتَابِ الْمُقَدَّسِ التي كان يجب أن تُقرأ في الكنائس ( قريان ) . وقد أطلق النَّبِيُّ ببساطة على كتابه الكلمة التي كان معتاداً على استعمالها لتسمية صُحُفِ الْوَحْيِ فِي الْكِنَائِسِ الْمَسِيحِيَّةِ فِي أَيَّامِهِ. وعلينا أن نتذكر بأنَّ في أقدم مخطوطات الْقُرْآنِ فإنَّ الكلمة كانت تُكتب ببساطة قرن والتي كان يمكن أن تُقرأ قرآن - وصارت كذلك - أو قرن بدون همزة. وأنِّي أظنُّ بأنَّ هذه القراءة للكلمة بدون همزة هي رسابة من اللَّفْظِ الْأَقْدَمِ قريان، أو قريان ( بيا ). وأن لفظ الهمزة هي قراءة متأخرة قد تبنيت لاحقاً لتعريب المفردة، ولجعلها تتطابق مع جذر فعل قرأ .

|         |    |     |  |
|---------|----|-----|--|
| أَقْنَى | من | لص  | سُورَةُ النَّجْمِ: 48/ 53. بمعنى أعطى الملك. |
| خَنَان  | من | سنا | سورة مَرِيَمَ: 13/19.                        |
| أَم     | من | لصا | سُورَةُ الْمَائِدَةِ: 92/ 6، الخ.            |

أَب ( سُورَةُ عَبَسَى: 31 / 80 ) من إِبَا أو آبَا، بمعنى (( فاكهة )) . مِسْك من مُشْك ( سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ: 26 / 83 ) . [ ربّما كانت الكلمة من أصلٍ فارسيّ، بيد أنّها دخلت إلى السريانيّة . ]

مَقَالِيد من قَلِيد ( مفتاح ) . ( سُورَةُ الزُّمَرِ: 63 / 39 ؛ سُورَةُ الشُّورَى: 12 / 42 ) . [ الكلمة من أصل فارسيّ، بيد أنّها دخلت إلى القرآن عبر السريانيّة . وحرف قاف برهان ذلك ] .

إِسْتَبْرَقٌ من إسْتَبْرَغ ( سُورَةُ الْإِنْسَانِ: 21 / 76 ) . [ يبدو أنّ أصلها يحيط به الشكوك، إلّا أنّها دخلت القرآن عبر السريانيّة ]<sup>1</sup> .

إنّ الكَلِمَات أعلاه سريانيّة بالكامل، وليس هناك مقداراً من حدّة الذّهن المعجميّة والقواعديّة برأينا - سوف تنجح في تعريب نون، طور، مهيمن، الخ. إني أعتقد مع فراينكل ( المرجع نفسه، ص 250 ) بأنّ كلمة أساطير، في ( سُورَةُ الْأَنْعَامِ: 25 / 6، الخ )، هي من السريانيّة **ملاوا** ، (( كتابة، محفوظات، أيّ شيء مكتوب )) . إنّ التفسير الذي أعطاه المفسرون المسلمون بأنّها تعني (( ميثولوجيات، قصص )) لهو اعتباطيّ، حيلة من أجل إضفاء معنى على جملة لم يتمكّنوا من فهمها، وليس مبرراً لا من المعنى الاشتقائيّ للجذر، أو بمقارنته مع لغات ساميّة أخرى.<sup>2</sup>

كلمة أخرى في القرآن هي رحمان، من **وسملا** ، ويُظهر كتابٌ أكتشف في الآونة الأخيرة - كتاب الحميريين<sup>3</sup> بأنّ الكلمة أستعملت في اليمن قبل عصر النبيّ.

إنّ الصّيغة السريانيّة الفلّسطينيّة تتمثل في القرآن بكلمة صديق - **روس** ، رجل نزيه، وجميع مشتقاتها. في السريانيّة الكلاسيكيّة فإنّ الحرف الأول هو زايين، بيد أنّه في العبريّة تصاداه.

إنّ العالم الإغريقيّ - الرومانيّ يتمثّل في القرآن بشكلٍ غير مباشرٍ من خلال ثلاث كلماتٍ تشير إلى تقنيّات الدّولة المتعلّقة بالعمل، والوزن، والقياس؛ دينار ( سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: 3 / 75 ) *denarius* ، درهم ( سُورَةُ يُوسُفَ: 20 / 12 ) ، *drachm* ، وقنطار؛ *Kintar* ( سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: 3 / 75، الخ ) . وهي على أيّ حالٍ ليس لها من أهميّة، ذلك أنّه على الأرجح إلى حدٍ كبيرٍ أنّ مفردة دينار، وقنطار دخلتا القرآن عبر وساطة السريانيّة **مندا و ملاوا** . وهذا ما حدث مع مفردة قِرْطَاس، *χαρτης* ( سُورَةُ الْأَنْعَامِ: 7 / 6، 91 )، والتي دخلت بدون شكٍ القرآن عبر السريانيّة **منهسا** ، ويمكن قول الشيء عينه عن قِسْطَاس ( سُورَةُ الْإِسْرَاءِ: 17 / 35؛ سُورَةُ الشُّعْرَاءِ: 26 / 182 ) . إنّ هجاء *ξέστης* ، على أيّ حالٍ، هو أقرب للصّيغة

<sup>1</sup> انظر: Fraenkel, *De vocabulis*, 25، الذي يحيل إلى Lagarde's *Gesammelte Abhandlungen*, 13 . انظر كذلك: (also Siddiki, *Studien*, 8.) .

<sup>2</sup> Cf Nöldeke-Schwally, *Ges. d. Qor.*, i., 16, and especially the references given by Horovitz, *Kor, Unters.*, p.70, to the South Arabian inscriptions.

<sup>3</sup> المرجع السابق.

العربية بنهاية السنين، من المفردة السريانية المطابقة **مهلا** ، وعلى الجانب الآخر ماذا حول حرف **قاف** الأول الذي هو سرياني قطعاً؟ بكل الأحوال إنَّ الكلمة تمثّل مُصطَلحاً تقنياً للوزن كما أُستعمل في الشرق الأدنى والأوسط، ومحرّرُ القرآن كتبها كما كان يلفظها السريانُ الفلَسطينيّون في زمانه. فهل بالوسع القول الشيء ذاته عن **سندس**، من **σαυδυσ** ( سورة الكهف: 31 / 18 )، الخ.

ونحن على قناعة بأنّه من المحتمل تماماً أنّ كلمة **إبليس**، مشتقة من *diabolus* ، عبر خلط قارئ القرآن الأول بين **الذال** و**الألف**. وهذا ليس متعذراً على نحو قاطع مع بعض الصيغ القديمة للحرفين السابقين. إنّ اتصال الكلمة بالفعل **بلس** هو متكلف، وإذا ما قبل، فإنّه سيدفع بنا إلى صيغ غير عربية، وبالإجمال ليست سامية للأسماء الذي سيحيّر الباحث. وثمة ما هو جدير بالملاحظة أكثر؛ فكلمة **جنّ** الواردة بكثرة، التي هي وثيقة الصلة بالكلمة اللاتينية *genii* . وبالمثل فإنّه من اللافت للنظر كلمة **قلم**، التي تُذكر بـ *καλαμος ، calamus* ، وكلمة **سجلّ** ( سورة الأنبياء: 104 / 21 )، والمأخوذة بدون أدنى شك من *σιγίλλιον ، sigillum* ، من خلال السريانية **سجحه** . أمّا الكلمات المستعملة في وصف الأحجار الكريمة مثل **مرجان** ( سورة الرحمن: 22/55 )، و**الياقوت** ( سورة الرحمن: 58 / 55 ) . فهي كوزمبوليتية، ويمكن أن تكون قد أخذت من السريانية أو اليونانية، وإن كان من المرجح أنها أخذت من السريانية.

وكمثال على العلاقة اللافتة بين اللغات السامية، فإنّه بوسعنا أن نلاحظ أنّ **سوط** ( سورة الفجر: 13 / 89 ) يمكن أن يؤخذ بمعنى (( انهمار، فيضان )) - ولها علاقة نسبية مع *sōta* الحبشية<sup>1</sup> . وعلى أي حال فإنّ المفسرين أعطوا للكلمة معنى (( سياط، ضربات السياط )) من السريانية ( النسطورية ) **شوطا**. ويمكن مقارنة الكلمة بالمفردة السريانية **شوطا** ( اللفظ النسطوري: **شوطا** )، (( المعدن المصهور )) .

ومثال آخر على نتائج لافتة للنظر تبرز من المقارنة اللسانية للغات السامية بعضها ببعض يمكن أن نجدها في جذر **فتح** ( سورة الشعراء : 118 / 26 ؛ سورة السجدة: 28 / 32 ) والتي تتطلب حسب السياق معنى (( الحكم بين، حكم )) ؛ المعنى الذي تحوزه الكلمة في الحبشية<sup>2</sup>.

وكما في حالة المصطلحات الدينية فإنّ قائمة الكلمات العربية المشتقة من السريانية، يمكن أن يتضاعف حرفياً بعشرات أخرى.

وليس ثمة لغة أخرى تمثلت في القرآن هنا. وكما فعلنا في البابين السابقين، فإننا نشير إلى أنّ لفظ كلّ الكلمات السريانية نسطوري وليس يعقوبياً.

#### IV

#### الإملاء

<sup>1</sup> Barth, *Etymologische Studien*, 14; Horovitz, *Koranische*, 13

<sup>2</sup> Cf. Horovitz, *Koranische*, 18; Nöldeke-Schwally, *Geschichte*, I., 219.

ثمة كلمات كثيرة في القرآن تُظهر من خلال الإملاء التأثير السرياني. والأمثلة النحوية التالية ستكون كافية لغرضنا.

( أ ) حيوة من سهلا ، صلوة من رحلا .

( ب ) إن حذف ألف الممدودة، ينطبق على الحرف الصوتي زقوفو، مثلاً بنت ل بنات، بتأثير السريانية ص. وكلُّ كلمات الجمع مكتوبة بدون ألف في مخطوطات القرآن القديمة.

( ج ) إن بقاء الياء في الأفعال المعتلة عندما تتصل بالضمائر، مثلاً اجتبهُ ( سورة النحل: 121 / 16 )، بدلاً ل اجتبهُ ( السريانية حصه ). إن يا كتعويض ل ( الألف ) مكتوبة في جميع مخطوطات القرآن القديمة في الحالات المدروسة، وهي بدون شك تحت تأثير السريانية.

( د ) نعرف جمعينا أن في مخطوطات القرآن القديمة، فإن الحركات تأخذ مكان أحرف اللين القصيرة ( وأحياناً الطويلة ) وأنني لمقتنع بأن هذه النقاط مشتقة بكل تأكيد من البوهومات المسورية السريانية أو التكرات<sup>1</sup> التي تشغل نفس الغاية في الكلمات الصعبة أو الغامضة.

## V

### بناء الجملة

( أ )

ثمة آية قرآنية ترد فيها كل، وتشير إلى تعبير سرياني مشهور بطرق المطابقة ص، وهو تعبير غريب تماماً عن اللغة العربية.

وفي سورة هود ( 120 / 11 ) جاء: ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ . وكل هذه تشف عن كل السريانية المستعملة في الجمل بالمعنى القرآني الوارد أعلاه، مثلاً<sup>2</sup> صه صه وسه حصه وسه حصه . ومن أجل تحليل الصعوبة فإن المفسرين لجاءوا إلى تسويات لا قيمة لها على الإطلاق.

يقول الطبري في تفسيره للآية: « واختلاف أهل العربية في وجه نصب كلاً، فقال بعض نحويي البصرة، نُصب على معنى: نُقصُ عليك من أنباء الرُّسل ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ كلاً. كأن الكُلَّ منصوبٌ عنده على المصدر » (مصدر شاذ! أ. م.). ثم إن الطبري يفضّل الرأي الذي يقول بالإضافة، وهو الرأي غير الصحيح بشكل جلي.

والشيء نفسه يمكن قوله بصدد رأي الزمخشري ( الكشاف، ص 637 ) بأن مفردة نبا مفهومة بعد كل. وهذا ما يؤكد النيسابوي في تفسيره ( غرائب ) والبيضاوي ( أنوار، المجلد الأول، ص 582، نسخة بولاق، 1296 هـ ). إن اللجوء إلى الإضافة هو تسوية عديمة الجدوى

<sup>1</sup> نهملا : النقطة بالسريانية - المترجم.

<sup>2</sup> Breviarium Chaldaicum, i., 383

وقد ظهر تكلفها بحقيقة: 1- إنه ليس ثمة طرف ثانٍ للإضافة؛ 2- إنَّ ألف وتثوين كلَّ يجعل وجود الإضافة مسألة خارج البحث.

### ( ب )

هناك جُملة تُستخدم فيها ضمائر الإشارة فوراً بعد ضمائر الشَّخصية، بنفس الطريقة التي تُستعمل في السَّرْيَانِيَّة، لا في العَرَبِيَّة.

في السورة الثانية ( سُورَةُ الْبَقَرَةِ: 2 / 85 ) لدينا: ﴿ تُمْ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ . إنَّ استعمال هَؤُلَاءِ هنا لهو أمر غريب ويشير إلى هولين السَّرْيَانِيَّة. إنَّ استعمال ضمائر الإشارة بدون الضمائر الموصولة، عندما تتبعها فعل حركة للتأكيد هو استعمال سرياني وليس عَرَبِيًّا.

ليس لدى الزمخشري ( الكشَّاف، ص 87 ) سببٌ مقنعٌ يقدمه للشذوذ. والبيضاوي ( أنوار، المجلد 1، ص 95 ) يتجنب الصعوبة من خلال تقديم مثلاً لضمير الإشارة ( أنت ذلك )، وهو تفسير، بكل جلاء لا يمت بصلة. ويقدم الطَّبْرِيّ في تفسيره ( المجلد 1، ص 314 ) تأويلاً بأنَّ ثمة حرف النداء يا محذوف بعد أنتم، وهي تشير إلى حيل أخرى عديمة الجدوى حقاً. ويعتقد النيسابوري ( غرائب، المجلد الأول، ص 328 ) بأنَّ أنتم هي ((مبتدأ)) و (( هَؤُلَاءِ )) خبر، من خلال إدخال بينهما كلمات مثل بعد ذلك، ويستشهد بالكوفيَّين على هذا المعنى بأنَّ ضمير الإشارة قد احتلَّ مكان الموصول بطريقة لا يمكن أن تكون مفهومةً.

### ( ج )

ثمة جُملة ترد فيها مفردة شَيْءٌ، وهي خاضعة لتأثير المفردة السَّرْيَانِيَّة مِم، وتستخدم في معنى لا يتصل بأصالة اللُّغة العَرَبِيَّة.

تقول الآية الحادية عشرة من سُورَةُ الْمُؤْتَحِنَةِ (60): ﴿ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ ﴾ . وإني لعلّ قناعة بأنَّ كلمة شَيْءٌ التي تنطبق على الكائن البشري ليست عَرَبِيَّة على الإطلاق، وتحيل إلى مِم السَّرْيَانِيَّة التي تنطبق على الكائنات العاقلة بقا مِم .

إنَّ مفردة شَيْءٌ لها صعوبة لا يمكن التغلّب عليها بالنسبة للمفسرين الذين لا ذوا منها إلى حلولٍ لا جدوى لها. ولتجنب الصعوبة فإنَّ ابن مسعود ( في كشَّاف الزمخشري، ص 1475 ) يغير: ﴿ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ ﴾ إلى (( أحد منهن )) . والبيضاوي ( أنوار، م 2، ص 516 ) يعتقد بأنَّها تشير إلى مهر الزوجات (( شيء من مهرهن )) ، والذي هو يعاكس السياق بشكل واضح. والطَّبْرِيّ يتفادى الصعوبة ويتحدث عن المهر فحسب. أمَّا النيسابوري ( غرائب ) فإنَّه يقول بأنَّ شيئاً تعنى هنا أحداً، بيد أنه مثل البيضاوي يذكر أنها قد تعنى مهر الزوجات. وبالختام يسجّل أراء بعض اللسانيين بأن شيئاً تُستعمل هنا لـ (( التأكيد )) أو (( السخرية )) . وهذا التفسير غير الشائع يرد لدى الزمخشري والبيضاوي ( نفس المكان ).

### ( د )

في القرآن عبارات عديدة لا تتناسب فيها المفردة العَرَبِيَّة مع المعنى الذي يقتضيه السياق، بيد أنه لدى مقارنتها بالمقابل السَّرْيَانِيّ فإنَّ المعنى الصحيح يصبح جلياً.

يرد في سُورَةِ الْفَتْحِ ( 12 / 48 ): ﴿ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾ .

إنَّ مفردة بُورٍ قد تُرجمت على أنها تعني (( لا قيمة له، تافه )) أو (( أناس مهملون )) بيد أنَّ ذلك لا يناسب السِّياق. ومن الجلي أنها تعريب بور السَّرِّيَانِيَّةِ الَّتِي تعني (( جهل، مدروس بشكل سيء )) ؟ إنَّ نفس المعنى يبدو كذلك أكثر ملائمةً في سُورَةِ الْفُرْقَانِ ( 19 / 25 ).

في سُورَةِ ص ( 3 / 38 ) : ﴿ فَتَادُوا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ . لنعترف بصراحة بأنَّ لَاتَ هذه هي شدوذ غير فصيح في اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وعشرات الصُّحُفِ دُبَّجَت حولها من قِبَلِ الْمَفْسَّرِينَ وَالنَّحْوِيِّينَ الْمُسْلِمِينَ بدون أن تدفع بمعرفتنا ولو قيد أنملة. وإنِّي أرى بأنَّه على الأعمَّ الأغلب هي السَّرِّيَانِيَّةِ حَمَلٌ ( ليس ثَمَّةُ شيء، لم يكن ) ، وهي ترخيم لـ لا / لم وهذا هو رأي السِّيَوطِيِّ ( المتوكلي، ص 54 ) وبعض الكُتَّابِ الْمُسْلِمِينَ الْآخَرِينَ.<sup>1</sup> وفي العديد من مَخْطُوطَاتِ الْقُرْآنِ الْقَدِيمَةِ فَإِنَّ الْكَلِمَةَ تَكْتَبُ لَت، أو لَيْت ، وقد أُضِيفَت أَلْفٌ مَمْدُودَةٌ أو عَوْضٌ عَنْهَا بِبَاءٍ مِنْ قِبَلِ الْقُرَّاءِ الْمَتَأَخِّرِينَ كَمَا فَعَلُوا مَعَ أَلْفِ الْأَفْعَالِ الْمَعْتَلَةِ الْوَسْطِ بِالْبَاءِ. انظر أعلاه الفقرة ( ج ) في قسم ضبط الإملاء.

## VI

### الإحالات التاريخية الأجنبيَّة

#### ( أ )

في سُورَةِ الْكَهْفِ ( 18 ) الآية 83 وما بعدها ثم رواية حول الأسطورة المعروفة للإسكندر الأكبر.<sup>2</sup> الفاتح المقدوني الَّذِي كان أول من ذهب غرباً ووجد الشمس في بئر موحلة،<sup>3</sup> وفيما بعد اتجه صوب المشرق فوجد ما بين جبلين قوماً لا يكادون يفقهون قولاً. وقد ناشدوا الإسكندر أن يبني سداً بينهم وبين أناس مفسدين يُدعون يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ. وتلبيةً لتوسلاتهم فإنَّ الإسكندر قام ببناء سورٍ من حديد خام في الممر الواقع بين الجبلين، مذيّباً إياه إلى كتلة معدنية صلبة، و قواه بصب نحاسٍ ذائبٍ عليه.

إنَّ قصة مغامرات الإسكندر موجودة في لغات عديدة؛ في الإغريقيَّة ( برواية كالستينيس حوالي 200 ميلادية ) في اللاتينيَّة ( قصة يوليوس فاليريوس، ح 30 م.، وقصة ليو الكاهن الأكبر للقرن الحادي عشر )؛ في الأرمينية ( تاريخ مجهول يبدأ أنها من الإغريقيَّة )؛ في السَّرِّيَانِيَّةِ ( مكتوبة حوالي مطلع القرن السَّابع، بيد أنها كانت معروفة في مطلع القرن السَّادس )؛ في الحبشيَّة ( تاريخ مجهول، بيد أنها لقرون بعد الغزو العربي )؛ في القبطيَّة ( حوالي القرن التاسع ). والنسخ المتأخرة تتضمن الفارسيَّة، التركيَّة، والرَّوَايَةَ الْجَمِيلَةَ الْمَالِوِيَّةَ وَالسِّيَامِيَّةَ.

<sup>1</sup> بصدد التعبير ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ ( سُورَةُ يُوسُفَ: 12 / 23 ) ، انظر كِتَابِي السِّيَوطِيِّ، المتوكلي، ص 54، والإتقان، ص 325. وهو يعتقد بأن الجملة سريانيَّة، والتي هي حقيقة بشكل تام ما دام ﴿ لَكَ ﴾ موضع اعتناء.

<sup>2</sup> وردت قصة الإسكندر الأكبر في سُورَةِ الْكَهْفِ ( 18 / 83 - 98 )، باسم (( ذو القرنين )) . - المترجم.

<sup>3</sup> العبارة الفُرْأَنِيَّةُ: عَيْنٌ حَمِيَّةٌ. - المترجم.

إنَّ الدَّرَاسَةَ الأفضَلَ للقِصَّة حسبَ معلومَاتنا في كتاب نُؤدِّكِهِ،<sup>1</sup> الَّذِي كُتِبَ بعدَ طبعِ النَّصِّ السَّرِّيَانِيِّ للقِصَّة من جانبِ بوج.<sup>2</sup> وعلى أَيِّ حالٍ، نعرفُ من كتابِ يَعْقُوبِ السَّرُوجِيِّ، بأنَّ القِصَّة كانتَ معروفةً في الأوساطِ السَّرِّيَانِيَّةِ قبلَ سنةِ 520 ميلاديةً. ومنَ كلِّ الشعوبِ التي كانتَ تعرفُ القِصَّة في صيغةٍ أو أُخرى، فإنَّ السَّرِّيَانَ والأحباشَ، هما اللَّذِينَ يمكنُ أنْ يكونا قدَ مارسا أثراً على الفُرْآنِ؛ وما دامَ ليسَ لدينا أَيُّ شاهدٍ على أنَّ الأحباشَ كانوا يعرفونَ أَيَّ شيءٍ من القِصَّة في حياة النَّبِيِّ،<sup>3</sup> فإنَّهُ يبقى أنَّ السَّرِّيَانَ همَ اللَّذِينَ استقى منهمُ النَّبِيُّ، أو محرَّرُ الفُرْآنِ، معلوماته. وهذا يمكنُ أنْ يتعرَّزَّ بالاعتباراتِ التَّالِيَةِ:

1 - كلُّ النَّسخِ المبكِّرةِ تكتبُ كلمةَ «جوج» فحسبَ، بينما يكتبها الفُرْآنُ أُجُوجَ<sup>4</sup> أو بشكلٍ شائعٍ أكثرَ يَأُجُوجَ (بـ أَلِفٍ أو بِيَاءٍ وأَلِفٍ في البداية). في نشيدِ يَعْقُوبِ السَّرُوجِيِّ المكتوبِ في بدايةِ القرنِ السَّادِسِ المسيحيِّ حولَ مَغَامرةِ الإسكندرِ وِغُوغَ وماغُوغَ، فإنَّ المفردةَ تأتي دائماً بِأَلِفٍ أولى مثلَ أُجُوجَ.<sup>5</sup> إنَّ هذا اللفظَ السَّرِّيَانِيَّ قدَ مارسَ تأثيراً على الأراجحِ على الصيغةِ العَرَبِيَّةِ للكلمةِ كما وردت في الفُرْآنِ. وحتى أنْ ثَمَّةُ بيتاً في النَّصِّ السَّرِّيَانِيِّ (نفسه، ص 378) يبدو فيه أنَّ المؤلفَ اشتقَّ أُغُوغَ من صيغةِ أُغُوغَا = ἀγυγός ((جدول، مجرى . ((

2 - في روايةِ كاليبستينيس فإنَّ الإسكندرَ هو ملكٌ وثني. في الفُرْآنِ يصيرُ الإسكندرَ رجلاً تقياً ورسولَ اللَّهِ. ولا يمكنُ لهذهِ الفكرةِ إلا أنْ تكونَ قدَ صدرتَ عن السَّرِّيَانَ، اللَّذِينَ - ولا أعرفُ لأيِّ سببٍ، فإنَّ المقدونيَّ جِهَانَ غُوشَا قدَ أصبحَ رسولَ ونبيَّ الرَّبِّ. وكلُّ شعرِ يَعْقُوبِ السَّرُوجِيِّ المذكورِ أعلاهَ مؤسَّسٌ على مثلِ هذا الادعاء.<sup>6</sup>

## (ب)

وردت مفردة مَجُوسٍ في سُورَةِ الحَجِّ (22 / 17)، وإنِّي مقتنعٌ بأنَّ هذه الكلمة من السَّرِّيَانِيَّةِ مَجْمَعاً،<sup>7</sup> وإنَّ النَّبِيَّ أو محرَّرَ الفُرْآنِ سمعَ بالمجوسِ من السَّرِّيَانَ فحسبَ وليس من الإغريقِ، والفرسِ، أو من شعبٍ آخر، ذلكَ بأنَّ الكلمةَ تبدو في الفُرْآنِ بشكلٍ غريبٍ أنَّها صيغةُ جمعٍ من مفردٍ ظني لا نستطيعُ تقديرَ طبيعتهِ بيقينٍ. والآنَ في السَّرِّيَانِيَّةِ، خلافاً للإغريقيَّةِ والفارسيَّةِ، فإنَّ صيغةَ الكلمةِ لا تتغيَّرُ في السَّواكن عندَ التَّغْيِيرِ من المفردِ إلى الجمعِ، والنَّبِيُّ أو محرَّرُ الفُرْآنِ استعملَ المصطلحَ في صيغةِ الجمعِ السَّرِّيَانِيَّةِ وليس العَرَبِيَّةِ، كما كانوا يسمعونَهُ يُنطقُ في زمانهم. وهذه الصعوبةُ كانَ يشعرُ بها بحدَّةٍ للغاية المؤلفونَ المسلمونَ فيما بعدَ ذلكَ أنهم من صيغةِ جمعِ الكلمةِ كما استعملت في الفُرْآنِ قاموا بنحتِ (كما لو كانَ لفظاً قومياً وعرقياً) صيغةَ المفردِ مَجُوسِيَّ.

<sup>1</sup> Beitrage zur Gesch. des Alexanderromans in the Vienna Academy's publications of 1890

<sup>2</sup> The History of Alexander the Great, 1889.

<sup>3</sup> إنَّ القِصَّة الحَبَشِيَّةِ التي نشرها بوج سنة 1896 تحت عنوان «حياة ومآثر الإسكندر العظيم» هي بدون شك إنتاج بعد إسلامي، ولا ريبَ أنَّها كانت بتأثير الفُرْآنِ والكتابِ المسلمين المتأخرين.

<sup>4</sup> انظر الأمثلة في كتاب نُؤدِّكِهِ: Geschichte des Qorans, p.270.

<sup>5</sup> Edit of Budge in Zeitsch. f. Assyriologie, vi., pp.376, 382, 389, 391, 393, 398, 400-401 and 403.

<sup>6</sup> حول جدار الإسكندر انظر: Chronicle of Dionysius of Tellmahre، ص 24 وما بعدها. (من النَّصِّ، تحرير تشابوت).

<sup>7</sup> Cf. Nöldeke, Persische Studien, ii., 37.

من الناحية الاشتقاقية فإنَّ الكلمة السَّريانية مشتقة من الفارسيَّة *mugh* ( في الزنديَّة ( Moghu )، « عابد النار » .

### ( ج )

يُسمَّى المسيحيون في القُرآن **نصارى**، والتي أفترض أنَّها الصيغة السَّريانية **نوسا** وبالفعل ليس ثمة لغة أخرى غير السَّريانية يعبر فيها عن « مسيحيين » بكلمة « **نصريا** » أو أيِّ لفظٍ مقارب. إضافةً لذلك، في وثائق سريانية قديمة فإنَّ الكلمة السَّريانية **نصريا** تنطبق حصراً على المسيحيين بدون الإشارة إطلاقاً إلى « الناصريين ». الشهيد، سيمون بار السبع، البطريرك الأكبر للشرق، في سنة 341 م كان يُسمى رئيس **نصريا** أي المسيحيين.<sup>1</sup> وكان يُطلق على جميع المسيحيين **نصريا** في عهد هذا القديس المكتوبة حوالي نهاية القرن الرَّابع.<sup>2</sup> ونفس اللقب كان ينطبق عليهم في أكثر من قطعة لسير القديسين صادرة عن كُتابٍ كانت مواطنهم تقع داخل حدود الإمبراطورية السَّاسانية. وقد سُئل القديس بثنون في سنة 447 م: « ما الذي عاد عليك العلاقة مع **النصريا** من فوائد ». <sup>3</sup> أي المسيحيين. وقائد فارسيَّ زاردشتيَّ عاش قبل الغزو العربيَّ أرسل كتاباً إلى عدوه البيزنطي المسيحيَّ من أجل أن يحتفلَ بوليمةٍ خاصَّة لأنَّ في جيشي يهود **ونصريا** ( أي مسيحيون ).<sup>4</sup> وليس ثمة من حاجة لإعطاء المزيد من الأمثلة، بيد أنَّنا أننا سنشير إلى واقعة وهي أنَّه في قصَّة جولييان المرتد لوحدها فإنَّ مفردة **نصريا** أُستعملت مرات عديدة للإشارة إلى المسيحيين.<sup>5</sup>

مهما يكن من أمرٍ، ليس من شكٍ بأنَّ في الإمبراطورية الفارسيَّة، وبدرجة ما في الإمبراطورية الرومانيَّة، أُطلق على المسيحيين **نصريا** ( **نصارى** القُرآن ) من جانب غير المسيحيين؛ وبهذا فإنَّ النَّبيَّ قد أخذ الكلمة من السَّريان.

### ( د )

في سُورَةُ هُودٍ ( 44 / 11 ) ذكر حقيقة سفينة نُوح الواقعة على الجبل والتي سُميت **جُودي**. وعلماء قليلون حقاً سيميلون إلى رفض حقيقة أن هذه الكلمة الغريبة هي السَّريانية **منوه** ، الجبل حسب نسخة البيشستا ( تكوين، 4 / 8 ) والترجوم ( على النقيض من كلِّ نسخ الكُتاب المُقدَّس التي تسمي الجبل **أرارات** ) الذي وقفت عليه سفينة نُوح فوق الماء. إنَّ النَّبيَّ أو محررَ القُرآن قد سمع، بالتالي، قصة نُوح وطوفانه من السَّريان فحسب. إنَّ قراءة « **واو** » عوضاً عن « **الراء** » ( الفرق في كتابة الحرفين في العربيَّة دقيق للغاية ) يمكن أن يُعزى إلى القارئ المبكر أو محررَ القُرآن نفسه. وإنَّ لفظ الحرف الأول « **قاف** » كـ « **جيم** » هو شائع في أيامنا لدى البدو العرب، الّذين يلفظون كلَّ « **قاف** » بشكل « **جيم** ». وليس ثمة من شرح لكلمة **جُودي** يبدو لي أنَّه يستحق الذكر.

### ( هـ )

<sup>1</sup> Pat. Syr., ii., 792, 818 and 867.

<sup>2</sup> Ibid., ii., 799. Cf. J. Horovitz, *ibid.*, p. 145.

<sup>3</sup> Acta Martyrum et Sanctorum (edit. Bedjan), ii., 576.

<sup>4</sup> Land's Anecdota Syriaca, iii., 258.

<sup>5</sup> See the index of Hoffmann's edition, *Julianos der Abtruennige*, p. xiv.



وترد في القرآن مفردة **حنيف** مرراً التي أعتبرها مشتقة من السريانية **سفا** أي: وثني. وهو رأي بعض الكتاب المسلمين أنفسهم أيضاً.<sup>1</sup> ففي صيغتها المفردة فإن الكلمة مستعملة في الآيات التالية: سُورَةُ الْبَقَرَةِ ( 2 / 135 )؛ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ( 3 / 95 )؛ سُورَةُ الْأَنْعَامِ ( 6 / 79 و 161 )؛ سُورَةُ النَّحْلِ ( 16 / 120، و 123 )، وكلها على اتصال بكون إبراهيم حنيفاً وليس من المشركين؛ وفي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ ( 3 / 67 ) بالارتباط بكون إبراهيم ليس يهودياً ولا مسيحياً، كما أنه ليس مشركاً، بل حنيفاً. في سُورَةِ النَّسَاءِ ( 4 / 125 ) فإن إبراهيم حنيفي. وفي سُورَةِ يُونُسَ ( 10 / 105 )، وسُورَةِ الرُّومِ ( 30 / 30 ) فإن النبي يُؤمر بأن يكون حنيفاً. وفي صيغة الجمع فإن الكلمة وردت في سُورَةِ الْحَجِّ ( 22 / 31 )، حيث يُؤمر المسلمون بأن يكونوا حنفاءً غير مشركين، وفي سُورَةِ الْبَيِّنَةِ ( 98 / 5 ) يُؤمرون بأن يكونوا حنفاءً ويُقيموا الصلاة ويُؤنوا الزكاة.

إن الاشتقاق السرياني للكلمة لا يبدي أي صعوبة على الإطلاق. إن الصعوبة الفعلية تكمن في أن الكلمة تُستعمل في القرآن بمعنى جيد حيث ترادف تقريباً مفردة « **مسلم** ». وليس بوسعي أن اقترح حلاً قاطعاً لهذا الصعوبة، بيد أنني سأقترح مؤقتاً الاعتبارات التالية:

1 - في الجانب الأول، لا بد أن النبي سمع مسيحيين عديدين قالوا عنه بالضرورة إنه **حنيف**، ذلك أنه لم يكن يهودياً أو مسيحياً؛ وعلى الجانب الآخر، لا بد أنه سمع منهم كذلك بأن إبراهيم كان حنيفاً أيضاً، التوكيد الصحيح تماماً. وبارتباطه مع البطريرك الأكبر إبراهيم، فإن كلاً من المسيحيين واليهود كانوا يوقرونه، وكلمة حنفاء التي صارت مع محمد ذات معنى جيد وجديرة بالثناء. ولهذا السبب فإن النبي ببعض المجهودات أكد على حقيقة أن إبراهيم لم يكن يهودياً أو مسيحياً، بل حنيفاً، وقد أراد أن تكون ديانته بدورها **حنيفية**.

2 - للتعبير عن الوثنية، والوثني، فإن القرآن يستعمل بعض صيغ جذر شرك. وهذا « **الشرك** » يعني دائماً اتحاد أو مشاركة كائنات أخرى مع الله، الرب الحق، وليس مع أي إله وثني قط، وهذا بغض النظر عن حقيقة أن للتعبير عن « **الأوثان** » فإن القرآن يعرف أوثان ( سُورَةُ الْحَجِّ: 22 / 30؛ سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ: 29 / 17 و 25 ) **أصنام** ( مواضع أخرى ) و **تماثيل** ( سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ: 21 / 52؛ سُورَةُ سَبَأٍ: 34 / 13 ). وهذا هو المعنى السلبي لجذر شرك المعتبر طبيعياً على أنه خاص بمحمد كما إبراهيم، ولهذا السبب فإنه يشدد على واقع إن إبراهيم لم يكن مشركاً.

لا يقترح المفسرون أو المؤرخون المسلمون حلاً للصعوبة يستحق الذكر. فكل قصصهم تُعنى بطبقة الحنفاء وأعمالهم الطيبة المُسماة التَّحْتَفْ، وهي تبدو لي لا تاريخية وقد أُخْتَلقت عمداً لتفسر صعوبة ناشئة عن الآيات القرآنية موضع النظر.

## ( و )

في سُورَةِ الرُّومِ ( 30 / 2 ) تُستعمل مفردة الرُّومِ للتعبير عن البيزنطيين، إغريق القسطنطينية، « **روما الجديدة** » ( Ρώμη νέα ). ومهما كانت طبيعة نظراتنا بشأن الخصوصيات اللسانية للكلمة فإننا لسنا أحرراً برفض أن الكلمة مشتقة من السريانية روميًا.

<sup>1</sup> قارن التنبيه للمسعودي، في *Bibl. Georg. Arab.* (edit. De Goeje), viji., 6, 90, 122, 136، قارن كذلك: *Encyclopaedia of Islam*، المجلد الثاني، ص 259 - 261.

وبالحقيقة فإنَّ السَّريانَ قد ذهبوا بعيداً في تطبيق الكلمة على البيزنطيين الَّذِينَ كانوا يطلقون عليهم ببساطة «مقاتلي روميا»<sup>1</sup> حيث إنهم لم يعرفوا جنوداً إلا الجنود الَّذِينَ كانوا بيزنطيين.



---

<sup>1</sup> See the remark of Wright in *Chronicle of Joshua the Stylite*, p. 30.